Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

يامن لذلة قومٍ بعد عزهمُ أحال حالهمُ كُفْرٌ وطغيان
بالأمس كانوا ملوكًا فى منازلهمْ واليوم همْ فى بلادِ الكفرِ عبدانُ
فلو تراهم حيارى لا دليلَ لهمْ عليهمُ من ثيابِ الذل ألوان
ولو رأيت بكاهم عند بيعهم لهالكَ الأمرُ واستهوتك أحزان
يارب أم وطفلٍ حيل بينهما كما تـفـرقَ أرواحٌ وأبدان
وطفلة مثل حسنِ الشمسِ إذ طلعتْ كأنما هى ياقوتٌ ومَرْجان
يقودُها العلجُ للمكروه مكرهةً والعينُ باكيةٌ والقلبُ حيران
لمثل هذا يذوب القلبُ من كمد إن كان فى القلبِ إسلامٌ وإيمان

○ **تعليق على القصيدة :**

قيض لمرثية أبى البقاء من الشهرة والذيوع ما لم يقيض لمرثية أخرى . وهى شهرة مردها الصدق الذى تحتويه ، وحرارة العاطفة التى تجرى بين أبياتها ، قالها مكلومًا يخاطب الأندلسيين من قومه ، والمسلمين أنى وجدوا ، ولم يتوجه بها إلى أمير ، ولم ينشدها فى بلاط ، ومع أن الجديد فى مضمونها قليل ، إلا أن هذا القليل يرجح فى ثقله وقيمته كل ما تضمنه القصائد الأخرى ، لأنه يمس جانبًا إنسانيًا يستدر شفقة أقسى القلوب ، وأشدها جسودا وضراوة . وهو يفعل ذلك فى واقعة بسيطة مؤثرة ، ولعله شاهد بعض ، أو كثيرًا ، مما وصف ، فهو يلتقط صوره من عمق المأساة ، تنم على ذلك بعض عباراته السهلة والصادقة فى الوقت نفسه ، مثل : « ولو رأيت بكاهم عند بيعهم ... » ، فليس أقسى على الحر من أن يباع عبدًا ، أو وصفه للطفلة يقودها العلج ، أو الأم تباع لسيد وطفلها لسيد آخر ، فليس أقسى ولا آلم من فراق جبرى ، لا تعرف له نهاية ، بين أم وطفلها ، تودعه وتعلم أنها قد لا تعود إلى رؤيته أبدا ، ومنظر فتاة فاتنة ، لايد لها فى الحرب ، تساق للمكروه مكرهة دون أن تستطيع دفعًا لمغتصبها . ومثل هذه المشاهد الحزينة المؤثرة كانت تحدث على التأكيد فى أية معركة يخسرها المسلمون فى الأندلس ، ولكن أبا البقاء أول من عرض لها ، واتخذها سبيلا لإثارة حمية المسلمين فى الأندلس وأفريقيا على السواء .